المصدر: السياسى المصرى
التاريخ : ١٩٩٣/٦/٢٧

الرئيس السادات يستدعينى لمقابلته عشية أحداث سبتمبر

د. محمد إسماعيل على يكتب :

السادات يتنبأ!

ذكريات واطلاعات شخصية مع الرئيس السادات .. ومنه

حادث المنصة حال دون التغيير الذى كان الرئيس أنور السادات يعتزم إجراءه فى أكتوبر عام ١٩٨١

حكاية الراى الثالث ... والذين يمسكون العصا من النصف !!

رغم معرفتى بأسباب إستدعائى لمقابلة السادات ، ومشاعر الرعب التى إنتابتنى ليلتها ، فقد صممت على كتابة رسالة إليه ، أسلمها له شخصيا ، إذا عجزت عن الكلام ، فأنا لم أجرب الكلام فى مثل هذه الشخصيات الأسطورية .. ثم إننى عندما كنت موظفا .. كانت أمنية المقابلة للمدير العام أمنية عزيزة المنال .. بل عندما أراه (يروح منى الكلام وانساه) !!

وكثيرا ما يجف ريقى ولا أعرف ماذا أقول .. فأقف مبهورا مبهوتا ومذعورا أيضا .. فكيف اقابل كبير الكبراء .. ورئيس الجمهورية !!

□ كانت قيادتى للسيارة . على الطريق الزراعى للاسكندرية محفوفة بمخاطرة التجربة الاولى للقيادة ، والتفكير المشتت فيما عساه أن يكون بينى وبين الرئيس ...

نزل أخواى ، على ومصطفى عند مدخل إستراحة المعمورة ، وجلسا تحت شجرة فى شارع قريب من الاستراحة ، والوجل والخوف باديان على وجهيهما ، ومع دعواتهما ، إتجهت إلى طريق ضيق ، تسده (خشبة) ترتفع لتسمح بمرور السيارات قابلنى (مساعد ـ صول) يلبس بدله بيضاء :

ـ أيوه يابيه رايح فين ! .

ـ أنا جاى علشان أقابل الرئيس ..

ـ إسم حضرتك إيه ؟

ـ محمد إسماعيل على ..

نظر المساعد فى ورقة صغيرة معه ، وترك الحبل بالعارضة الخشبية لترتفع .. وأواصل سيرى بالسيارة مسافة لا تزيد عن خمسين مترا .. ووجدت أمامى مبنى كاستراحات الرى فى المحافظات .. يقف أمامه ضابط برتبة عقيد أو عميد .. تقدم إلى مبتسما :

ـ أى خدمة يافندم ..

ـ أنا محمد إسماعيل على معايا ميعاد مع الريس ..

ـ أتفضل يافندم ...

وقادنى إلى مدخل الاستراحة ....

مساحة المدخل لا تزيد عن سبعة أمتار فى سبعة .. على يمين المدخل دورة مياه .. وفى مواجهة هذا البهو الصغير باب يؤدى إلى غرفة واسعة .. فيها عدد من الكراسى الإسيوطى القديمة والبسيطة ، والتى لا تختلف كثيراً عما يوجد فى دوار العمدة ..

جلست على أحد الكراسى .. على حافة الكرسى .. مضطربا .. مرتبكا .. أنظر حولى .. منتظرا إنقضاض رجال الأمن على .. !!

... وكان يتوسط هذه الغرفة سلم خشبى نازل من الدور الثانى .. لم أجرؤ على النظر إليه طويلا ..

مرت لحظات كأنها دهر ، بعمر الخوف والوجل .. وخمس دقائق بتوقيت ساعتى ...

ـ سمعت وقع أقدام على هذا السلم .. تنزل رويدا .. وقلبى يدق بعنف .. ناظرا إلى معصم اليد ، مستعدا لتقديمها للقيود الحديدية

.. فلما أقترب صوت الأقدام ، لم أقاوم رغبتى فى التطلع إلى الشخص الهابط من الدور الثانى ..

ـ كان الرئيس السادات ، بقوامه السمهرى الرشيق .. وبشرته السمراء .. ووجهه الذى إرتسمت عليه خبرة السنين الطويلة والبايب فى يده يسحب منه أنفاس (الأمفورا) ... والبدلة (التى شيرت) الزرقاء الداكنة ذات الاكمام الطويلة والعيون العميقة الاغوار ...

أهلا يا اسماعيل ...

ـ أهلا يا أفندم .. ازاى حضرتك ...

وضع يده على كتفى وقال :

ـ أنت أعد هنا ليه فى الحر . تعالى يا شيخ فى الجنينه ع البحر نشم الهوا ....

وقادنى إلى حديقة لم ار بحرا تطل عليه .. وبها

مجموعة من كراسى البامبو ... جلس .. ثم جلست بعد أن قال :

ـ اتفضل ياإسماعيل .. دا بيتك ...

□ أحسست أننى لست مع رئيس جمهورية .. ولكنى مع رجل عادى ... فلاح ... أبن بلد ... صديقى ... قريبى ... لا حواجز ... ولاقيود ولا حدود ...

ـ انا باقرا لك يا إسماعيل كل اللى بتكتبه .. ومبسوط منه اوى وعاوزك تستمر فى الكتابة ...

ـ متشكرين ياريس .. بس الحقيقة أنا عايز أكتب كثير ... بس مساحات النشر لا تسمح دائما ...

ـ مساحات إيه !! .. اكتب زى ماانت عاوز فى أى وقت .. وأنا حاكلم عبد

الله .. [يقصد عبد الله عبدالبارى] .

ـ شكرا يافندم ...

ـ دانا اللى أشكرك مش أنت اللى تشكرنى .. وأنت كأنك بتقرأ اللى فى دماغى وتكتبه مع أنك مش بتقعد معايا ...

ـ يمكن يا أفندم عشان أحنا بيئة واحدة !!

ـ فلاح يعنى ؟

ـ يعنى .. الريفى البسيط .. الفقير .. اللى بيعبر بتلقائية عن أفكاره ...

ـ بس الفلاح لئيم ياإسماعيل ... الفلاح ماينضحكش عليه أبدا ...

ـ أنا مش فلاح .. أنا ابن خياط عادى وبسيط ...

ـ هو دا المصرى .. مش يعنى البرجوازى اللى بيسموه الابالسة الشيوعيين ...

ـ ضحكت وضحك هو كثيرا . ثم قال :

ـ أنا عايزك تشتغل معايا فى السياسة ...

ـ ما أنا باشتغل فيها ياريس ...

ـ بتشتغل فيها فين ؟

ـ باكتب فى السياسة يعنى .. وكمان فى العواطف ..

ـ لا لا .. دى أسمها صحافة اللى بتشتغل فيها .. أنا عايزك تشتغل معايا ، فى السياسة .

ـ ازاى يعنى ياريس ...

ـ حاقولك بعدين .. هو فيه تغيير كبير حايصل فى اكتوبر اللى جاى .. وحاتعرف بعدين ...

إنما أنا عاوزك تكتب كمان فى جريدة مايو ..

ـ بس ياريس دى جريدة الحزب الوطنى ...

- وأيه يعنى ! ؟ قصدك إيه ! ؟

- قصدى إنى لو كتبت فى جريدة الحزب الوطنى حابقى بتاع الحكومة والناس مش حاتصدقنى ويقولوا دا بقى بتاع الحزب ...

- وماله الحزب الوطنى ياإسماعيل ! ؟

- يعنى ... الناس بتقول إنه فيه إنتهازيين وأصحاب مصالح عاوزين يستفيدوا وبس ...

- ماهى دى المصيبة .. انا عارف كل دا .. ومنصور حاول يعمل حاجة ... وكل ما نقول حنجيب ناس كويسين يجيلك آلاف يقولوا إنهم كويسين .. يطلع منهم حراميه ويطلع منهم كويسين .. حا نعرفهم إزاى .. انا غلبت معاهم ...

ـ طيب ماهو مركز الدراسات بتاع منصور حسن ياريس كان ماشى كويس ، وحايطلع كوادر كويسه ...

ـ المركز ده حكايه ثانيه ... ومنصور زعل لما كلمته وقال مش قادر ، قلت له خليك فى مجلس الشعب ...

ـ عموما ربنا يوفق ياريس ... المهم مش فى عدد الاعضاء المهم نوعيتهم ...

ـ اهو واحد زيك لما يشتغل معايا يساعدنى .. ونبتدى فى مايو ...

ـ طيب ياريس لى طلب .. تدينى الأمان ...

ـ طبعا ...

ـ حا أكتب فى مايو .. بس تحت عنوان « الرأى الثالث » ...

ـ يعنى إيه الراى الثالث ! ؟

ـ يعنى اللى بيقول رأيه هو .. ومش لازم يكون مع المعارضة أو مع الحكومة أو ضدهم ...

ـ لا لا .. سيبك من حكاية الراى الثالث دى .. تعرف الناس حاتقول إيه عليك ! ؟ .. حايقولوا دا عايز يمسك العصايا من النص وينافق الاثنين ...

ـ لا ياريس .. أنا عايز أكتب اللى أنا بافكر فيه بس ..

ـ طيب ماتكتب .. بس بدلا من حكايـة الراى الثالث دى .. هو احنا حا نعمل العالم الثالث هنا يا إسماعيل واللا إيه !!

□ وشد أنفاسا عميقة .. وطلب لى الشاى ...

وقلت :

ـ طيب بدلا من العنوان ياريس ... بس أكتب اللى أنا

عاوز أقوله سواء أختلف أو إتفق مع رأى الدولة :

ـ أنا عاوز كده .. عاوز إخلاص فى الكتابة .. أكتب كل اللى أنت عايز تقوله .. مفيش قيود عليك :..

ـ بضمان سيادتك يافندم ... ؟

ـ باقولك اكتب زى ما انت عاوز ... أنت ولد مخلص مش زى ولاد ال ( ) عاملين لى وطنين .. بتوع الميه السخنه والياقات المتنشية ...

□ وإنطلق السادات فى وصف عاصف لبعض المعارضين ، شارحا لى تاريخ كل منهم ، بتفصيلات دقيقة ، وقال :

ـ انا لازم اوضع حد للكلام دا البلد مش ملكى ولا ملكهم .. دى مصر ...

واليهود منتظرين أى خلخلة فى الجبهة الداخلية

□ لم أكن فى الحقيقة أعرف هذه الاجراءات الحاسمة ولم أكن أعلم أنها هى إجراءات ٥ سبتمبر .. وللحقيقة التى لا يعلمها إلا الله ، إننى لو كنت أعلم شيئا مما جرى بعد ذلك بساعات لأعلنت رأيى للسادات بصراحة .. لأن حديثه لى كان يشجعنى على ذلك ....

ولهذا ، عندما صدرت هذه الاجراءات ، فى ٥ سبتمبر وبدأت أكتب فى جريدة مايو .. تناولت هذه الاجراءات فى مقال لى بعنوان « الحض على كراهية نظام الحكم جريمة من ! ؟ » وانصب نقدى على بعض أعضاء الحزب وبعض الوزراء الذين تحض تصرفاتهم الاستفزازية ، على كراهية نظام الحكم ...

وأثناء إنفعال السادات بمهاجمة خصومه السياسيين حاولت تهدئة الموقف وخصوصا عندما حضر (الشاى) فى براد من ذلك النوع البسيط ، مع

اكواب صغيرة يعتبر فنجان القهوة بالنسبة لها برميلا أو خزانا ... وكان السادات يأخذ (شفطه .. أو أثنين) وينتهى الكوب فيصب بنفسه كوبا آخر لى وله على طريقة أهل الخليج ...

إنتهزت فرصة صمت الشاى لإحول الحديث العاصف إلى مسار آخر فسألت الرئيس :

ـ أنا لاحظت ياسيادة الريس وأنا داخل ....

ـ لاحظت إيه ! ؟

ـ الراجل الصول اللى على البوابه لم يتحقق من شخصيتى ، وبمجرد ما قلت له أنا فلان ، راح فاتح البوابة ودقيقتين ياريس ، لقيت نفس قدامك .. مش دا خطر عليك ! ؟ مايمكن حد عرف إنى حاقبلك ويدعى إنه أنا ويعتدى على حضرتك بسهولة ...

□ سكت السادات قليلا ... وقام بهذ البراد وكشف غطائه ليرى إن كان الشاى قد إنتهى ... وطلب برادا آخر ... واضطجع راميا بصره بعيدا ...

ـ شوف يا إسماعيل ... انا

مؤمن بان الاعمار بيد الله ... انا رحت المنصورة . وعارف إن الواد عبود الزمر ممكن يعملها ويدينى دفعة رشاش ... وكل يوم ، نبوى ييقولى على حاجات ... انا مابحبش الحراسة ... حاهرب من قدرى !! وبعدين على فكرة ياإسماعيل .. الناس بتحبنى ... إنت بتشوفهم بيقابلونى إزاى فى الطريق ....

ـ آه بس الناس بيقولوا دول بتوع عربيات النقل اللى كان بيشحنهم الاتحاد الاشتراكى ..

ـ دا كلام فارغ .. دا كلام الحاقدين .

لكن ... انا عارف ، إنه ممكن فى اى لحظة ، يطلع على شوية مجانين بالرشاشات ويضربونى ... !!

نبوى إسماعيل

عبود الزمر